عن الهالوف والافخال شكر على المعروف ذكر الله تعالى اولا اية سماوية حيث قال العرقان
الله تعالى يولج الليل في النهار الاية ثم ذكر اية ارضية فقال الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله التي هي الريح الملاية لجريها ليريكم باجرائها سعة بعض اياته ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور يستدلون بها على كمال عظمة قدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان
يتعوا من جحتهم الى الاعتراف بها ثم وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين
ركبوا البحر ما نبوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لا منجي لهم فيه
والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلال وقلل وصف الموج وشبه بالظلل اي
الامور التي يظل كالجبال او السحب المتركمة او غيرهما للدلالة على عظم الموج وكثرته
وارتفاعه بحيث ينفصل منه وقت انحداره الى جانب السفل امثال الظلل قوله
مقتصد على الطريق القصد اي العدل السوي فقوله تعالى فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء
في البر بما عاهد الله تعالى عليه في البحر من التوحيد له فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه
وهذا مضمر وهو قوله ومنهم من نقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد باياتنا
الا كل ختار كفور والختار الكفور يوازن الصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى
فان الصبار الشكور مذكر بما فيه من الالاء حالة الرخاء من غير ان يجحد
الله شيئا من الشدائد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحجج حال الضرورة
الا انه تعالى اذا نجاه الله تعالى من الغرق وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى ضلاله
القديم روي ان مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم فتح مكة امن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار
الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح
فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم
شيئا هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره ثم قال
اللهم ان لك علي عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان اتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه
عفوا كريما فسكنت الريح فجاء واسلم وحسن اسلامه رحمه الله تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة
الى ختم السورة بما يحملهم على التمسك بتلك الدلائل والاستعداد بها الى ما ينفعهم الى حسن العاقبة
وينجيهم من شدائد يوم القيمة فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ولا تخالفوا شيئا مما
امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله واخشوا يوما اي عقاب يوم وقوله لا يجزي والد عن
ولده صفة لقوله يوما والعائد محذوف اي فيه وقوله لا يجزي عن ولده اي لا تقضي شيئا من الحقوق

من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه بشيء لما كان بعض الاقرباء يتحمل عن البعض
البعض الاخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدائد بالوصلة التي كانت بينهم في المنافع التي
كان ينتفع بعضهم بعضا بمنافع الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله منقطع في الاخرة
لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرئ بنفسه ولا ينفع احد صاحبه وخاصة ما ذكر من
الولد للوالد والوالد للولد فان ما بينهما من القرابة القريبة
يستدعي ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل
وسعه وطاقته في دفع ما يلحق الاخر من المكاره للشفقة والمحبة
التي جعلت فيما بينهم ومع ذلك فقد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما
صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روي عنه عليه السلام كل سبب ونسب
فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعلمناه وسببه
شفاعته يوم القيمة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا هذين فانه قد تمسك بدينه
فانه يشفع له يوم القيمة فيما فرطوا وقصروا واما من لم يدن بدينه ولم يجبه
الى ما دعاه اليه فانه ليس له شيء من هذين وقد انقطع عنه باقي
الانساب والاسباب ايضا قال بعضهم هذه الاية في الكفار فاما المؤمنون فينفع
الوالد ولده والولد والده في الاخرة يرفع الاب الى ابنه بفضل عمله وكذلك الولد الى ابيه لقوله
تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال الله تعالى الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقد روي في الاحاديث الشفاعة
للاخيار ويبعد ان يشفع للاجانب دون الاقارب والله اعلم قوله
ومن لا يجزي من اجزاه اذا اغنى على بناء افعل بضم الميم يقال اجزأ
عنك مجزأ فلان ومجزأته فلان اي ما اغنيت عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة
جزت اي قضت وادت كان جزي غير مهموز بمعنى قضى قوله ولا مولود هو
عطف على والد فيه بحث لان المولود يكون فاعلا لقوله لا يجزي ويكون قوله هو
جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون جازيا عن والده وغير جاز عنه
فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان المراد
من التوصيف كون المولود جازيا عن والده في الدنيا والمنفي
كونه جازيا عنه يوم القيمة ولا منافاة بينهما لاختلاف
الزمان قوله او مبتدا وجوز الابتداء بالنكرة لوقوعه

نقل

Copyright © King Saud University